عرض عن الكتاب

من بيت الكنانية إلى السوربون

رحلة "التكوين" في مذكرات د. فهد العرابي الحارثي



كيف استطاعت أمّ لا تعرف القراءة والكتابة أن تدفع ابنها إلى السوربون، إحدى أعرق الجامعات في العالم؟ بهذا السؤال يمكن الدخول إلى الجزء الأول من "مذكرات: ثلاثية العمر" للدكتور فهد العرابي الحارثي، الذي يحمل عنوان "التكوين: من فاطمة الكنانية إلى السوربون".

يستعيد الكاتب رحلة بدأت بين القرى، واتسعت في الطائف ومكة والرياض، قبل أن تصل إلى باريس. وفي كل محطة، يروي صاحب المذكرات كيف تشكل وعيه، ومن هم الذين أسهموا في توجيه خطواته، ويروي ما اعترضه من صعوبات ومفاجآت ومفارقات.

في البداية تحضر فاطمة الكنانية بإيمانها بالتعليم، في مقابل ساعد، الأب الذي صاغت مهنة "الجمّالة" نظرته إلى الحياة، فكان يرى مستقبل ابنه في العمل والكسب المبكر. كانت الأم تمنحه المال لشراء الكتب والصحف، بينما يتساءل الأب عن جدوى تلك «القراطيس» كما يحلو له أن يسميها بسخرية ظاهرة. ومن هذا الاختلاف داخل بيت واحد، تنشأ حكاية حميمة عن الحب حين تتباين طرائقه، وعن ولد يجد نفسه بين إرادتين تريدان له الخير، ولكنهما تختلفان في الطريق إليه.

في حياة ساعد، يطلّ "سموح"، بعيره الأثير وقائد قافلته، الذي حمل هودج الكنانية من "قها" ببلاد ثقيف إلى "مدغل" بيت الشيخ سعد بن سفران في قرية المشاييخ ببني الحارث. وتتوالى مغامرات الجمّالة: كرّ وفرّ مع قطّاع الطرق، وبندقية يعلقها ساعد على كتفه في النهار وآناء الليل، ويحتضنها أو يتوسدها عند النوم، ولا تغيب عنه حكايات الجن الذين يقتحمون عالمه بلا انقطاع، فهو في احتدام الظلام، ووحشة المكان، يرى جنائز في أكفانها البيضاء ويُخيّل إليه أنها تمشي أمامه ومن خلفه. حتى صمت السباع في كهوف الجبال كان يخيفه أكثر من أصواتها!

وتتسع حكاية الأسرة لتكشف عالمًا يستحق أن يُستعاد: قوافل تحمل الأرزاق والأخبار، ومشقة أسفار تكتنفها المخاوف، ومجالس ينهض فيها شيوخ القبائل بالإصلاح بين الناس. وفي وادي المريفق، تحتل شجرة "الجمّيزة" موقعًا عميقًا في وجدان أهل القرية فهي أمهم الحنون و تحت ظلالها تدار طقوس رجائهم للمطر. ثم تدخل السيارة إلى ذلك العالم، لتأخذ مكان الأباعر، ويغدو سائق الشاحنة "اللوري" صاحب مكانة تؤهله للجلوس في "صدر المجلس" إلى جانب كبار القوم محفوفا بكثير من العناية والاهتمام .

يلتقط الحارثي هذه التفاصيل بروح تعرف أهلها، وتستعيد دهشتهم بشيء من الابتسام.

أما الطائف، فتظهر بمكتباتها وبدار التوحيد ومحمد الوقداني (أبو دولامة) وبرفاق القراءة، وبحياة فنية تمتد من صفوف "الملعبة" إلى حفلات طارق عبدالحكيم وطلال مداح فوق أسطح المنازل. وبين هذه المشاهد ينمو الشغف بالكتابة، وتبدأ الصلة بالصحافة. وتأتي الدراسة الجامعية في مكة المكرمة مقترنة بالعمل في صحيفة "الندوة"، ومسؤوليات زواج مبكر وأسرة تكبر.

ومن بوابة جامعة الملك سعود يدخل الحارثي الرياض، بعدما يفوز بوظيفة معيد في الجامعة. هناك يجمع بين العمل الأكاديمي والصحافة، ويتولى القسم الثقافي في صحيفة "الرياض". وتستعيد المذكرات مجالس الأدباء خارج الجامعة، وكبار الأكاديميين داخلها، وأجواء التحرير والمطابع، فيما يقارن

صاحبها صورة العاصمة التي عرفها شابًا بما آلت إليه اليوم. وهكذا تتجاور سيرة التكـوين الشخصـي مـع ملامـح مجتمـع تتسـع فيـه فـرص التعلـيم والعمـل والثقافة.

وتقابل المذكرات حديقتَي الفوطة وأبو مخروق بمشروع حديقة الملك سلمان، وحديقة الحيوانات في الملز بالقدية، وناقلات "أنيسة" بالميترو الذي يعبر جهات العاصمة، ودكاكين بوابة الثميري وشارع الوزير بمدينة كبرى تعج بالعلامات التجارية العالمية والمراكز التجارية والسوبرماركتات.

لكـن الطريـق إلـى السـوربون يكـاد يتوقـف أمـام شـرط إجـادة الفرنسـية. يتـابع القارئ تفاصيل المواجهة مع لائحة الابتعاث، والتحذيرات من صعوبة الدراسة فـي تلـك الجامعـة، وإصـرار الشـاب علـى خـوض التجربـة، حتـى تـأتي منحـة مـن الحكومـة الفرنسـية لـتعلم اللغـة. وفـي بـاريس تتعـدد الامتحانـات: لغـة جديـدة، وغربـة، وتقاليـد أكاديميـة مختلفـة. وتصـل الرحلـة إلـى موعـد مناقشـة "دكتـوراه الدولة" الذي أعلن عنه في جريدة "لوموند" وذلك أمام لجنة مكونـة مـن خمسـة أعضاء: ثلاثة من السوربون نفسـها واثنين مـن خارجها ويرأسـها البروفيسـور أركون، تستمر المناقشة لأكثر من خمس ساعات؛ لقد كانت محطة بعيدة عـن البدايات، تحمل معها أثر البيت والأم والكتب الأولى.

وفي موازاة الدراسة، يعيش الحارثي باريس صحفيًا؛ يكتب عن ظواهرها الأدبية والفنية والاجتماعية، ويؤسس مكتب صحيفة «الرياض» ويديره، ويرافق القيادة السـعودية فـي زيـارات خارجيـة ضـمن الوفـود الصـحفية. ويكشـف هـذا المسـار كيف اتسعت خبرته خارج قاعات الجامعة، بـين الحـي اللاتيني والعمـل الإعلامـي والحيـاة اليوميـة، حيـث تختلـف المدينـة التـي يسـكنها الطالـب عـن الصـورة التـي يحملها زائرها.

تمنح هذه المـذكرات قارئهـا فرصـة للتعـرف إلـى الإنسـان فـي بداياتـه، ومتابعـة التحـــولات الســـعودية علـــى مختلـــف المســـتويات: الاجتماعيـــة والثقافيـــة والاقتصـادية والتنمويـة مـن خـلال تفاصـيل عاشـتها أسـرة، وشـهدتها مـدن، وحملها جيل إلى آفاق أرحب.

وتبقى الكنانية حاضرة في امتداد الرحلة؛ الأم التي رأت في تعليم ولدها مستقبلاً يستحق الصبر. أما كيف اجتاز ذلك الولد المسافة بين بيتها والسوربون، وما تركته الطريق فيه، فحكاية تستدعي القراءة.

معلومات الكتاب :

344 صفحة من القطع الكبير

مزوّد بالفهارس والكشافات للأعلام والأماكن والمؤسسات والمنظمات

الناشر : تشكيل TASHKEEL @Tashkeell

